الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس:نقد أدبي معاصر

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات لغوية

بتاريخ:07 -04-2021

المحاضرة الخامسة: السيميائية

تمهيد:

شهد الخطاب النقدي العربي المعاصر رجات وتحولات كبرى وعميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين ،و ذلك بما أحدثته المناهج- السياقية والنصانية- الوافدة إلينا من الغرب ، لينكب الدّارسون و النقاد لاستعمالها بمختلف قضاياها وضمنياتها في مساءلة النصوص العربية القديمة والحديثة و قد كان "المنهج السيميائي" من أهم المناهج التي شكلت بعدا تثاقفيا نقديا بين الغرب و العرب،ومن ثم كانت النصوص الشعرية القديمة -خاصة- من القضايا النقدية التحليلية التي خاض فيها نقادنا المحدثون وتأثروا بها بشكل أو بآخر،و ذلك لما للنص الشعري القديم من أبعاد ثقافية تاريخية في الذاكرة الإبداعية باعتباره أول محطة شعرية قديمة يقابلها المتلقي و الناقد على وجه الخصوص،ومن هنا كان الاهتمام به أمرا حتميا من طرف النقد العربي المعاصر لأنّه أوّل بدايات الأدب/ النص الشعري التي يمكن من خلالها الولوج إلى معالم النص.

لهذا كان لابد من وجود أسس نقدية سليمة في تناول المنهج السيميائي تسهل عملية الممارسة والتطبيق على النصوص الأدبية القديمة الشعرية على وجه الخصوص، وتذكر لنا كتب النقد والدّراسات السّيميائية العديد من المقالات التي نظرت وشخصت وطبقت آليات النقد السيميائي خاصة في مجال تلقي النص الشعري القديم،وخلصت إلى نتائج هامة في كيفية تعاملنا وتلقينا للنص القديم قي ضوء المنهج السيميائي الذي نهل منها نقادنا المشارقة والمغاربة على السواء.

حيث الذين وظفوه فكلّ تطبيقاتهم الشعرية والنثرية من النصوص الأدبية الجاهلية،حتى وقتنا الحالي، وصولا إلى تأسيس رؤية نقدية سيميائية خاصة بسيمياء تلقي النص الإبداعي العربي القديم موحدة بين النقاد ككل،وهذا من أجل توحيد عملية نقد واعي مؤسس على فنيات

ومصطلحات نقدية متعارف عليها سلفا بين الناقد والمتلقي في ضوء المنهج السيميائي ونظرية التلقي.

1- سيمياء الغرب و منهجها عند العرب:

- الإرهاصات التاريخية للمنهج السيميائي:

قبل الحديث عن المنهج السيميائي يجدر بنا أولا أن نتطرق بإيجاز إلى السيمياء عامة، ثم المنهج السيميائي، وهذا من خلال تناولنا آليات تحليله النصوص الأدبية.

لا يختلف اثنان على أن المناهج النقدية الحديثة ومن بينها المنهج السيميائي هي ثمرة ثقافة غربية (أوربية أو أمريكية) وحصيلة حضارتها المادية ،وأنها انتقلت إلى العالم العربي مثلها مثل باقي معالم الحضارة عن طريق موجة التأثير الغربية التي هزت العالم العربي ،فلم يعد بوسعه إلا التبني أو التقليد أو إعادة التصنيع – إن صح القول – بحسب ما يناسب الحضارة العربية ،وهذا ما حدث عند ظهور علم السيمياء الذي عرفه الوطن العربي "منذ منتصف السبعينيات."

إنّ العلاماتية أو » السيميائية، أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا، أوعلم الإشارة أو علم العلامات، أو علم الأدلة« كلها ترجمات لعلم واحد يُعْنَى بدراسة العلامات.

وليس التفكير حول العلامات السيميائية ، ولادة معاصرة ، حيث توجد نظرية علاماتية ضمنية في التأملات » اللسانية« التقليدية في الصين والهند، واليونان، وروما، كما أولى السفسطائيون – مِنْ قَبْلُ – أهمية عظمى لهذه القضية في بدايات التفكير حيث نجد مصطلح سيميوطيقا Sémiotiké في اللغة الأفلاطونية إلى جانب مصطلح Grammatiké الذي يعني تعلم القراءة والكتابة، مندمجا مع الفلسفة أو فن التفكير«

ثم يأتي» أرسطو« في كتابه (العبارة) ليحدد العلاقة بين الألفاظ وبين العلامات ،وبين أشياء العالم الخارجي إذ يقول: » إن الأصوات التي يخرجها الإنسان رموز لحالات نفسية، والألفاظ المكتوبة هي رموز للألفاظ التي ينتجها الصوت وكما أن الكتابة ليست واحدة عند البشر أجمعين، فكذلك الألفاظ ليست واحدة هي الأخرى لكن حالات النفس التي تعبر عنها هذه العلامات المباشرة متطابقة عند الجميع« .

ويبدو أن السيميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها إلا تصنيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل ، كما أن القديس الجزائري" أوغستين 350م– 430م" ، قدم تعريفات للعلامة ضمن أبحاثه في التأويل معتمدا على الفلاسفة اليونانيين كـ "أرسطو" و» الرواقيين «، ثم يختفي مصطلح السيميوطيقا مدة طويلة ولا يظهر إلا في دراسة الفيلسوف الإنجليزي" جون لوك John Loke (1632-1704) " باسم «Sémiotiké وبدلالة جدّ متشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية.

وتعد بداية الستينات من القرن العشرين البداية الفعلية لعلم العلامات في كل أنحاء العالم،

من خلال مصطلحين متداولين في الثقافة الغربية الفرنسية والأمريكية، وهما مصطلحي (سيميولوجيا/ سيميوطيقا) إلى أن اتحدا باسم السيميوطيقا بقرار اتخذته الجمعية العالمية للسيميوطيقا التي انعقدت في باريس سنة 1969م، ومن الأعضاء النشطين في هذه الجمعية " يوري لوتمان ،أمبرتو إيكو والناقدة جوليا كريستيفا."

2- مفهوم السيميائية:

انعقد بميلانو في إيطاليا سنة 1973م ، أول مؤتمر عالمي للسيميوطيقا، وأثار هذا المؤتمر أهم مفاهيم السيميولوجيا النظرية، والإجرائية«، حتى أن الجمعية الدولية التي تأسست في فرنسا سنة 1974م ، اختارت لها اسم سيميوطيقا، ولم تختر اسم سيميولوجيا، وإن كان المصطلحان متشابهين جدا سواء في سيميولوجيا دي سوسير ،أو سيميوطيقا بيرس ، فإنه لابد من الإشارة إلى ذلك الدور الذي لعبته في حقل تطور هذا العلم، ومن ثم فقد عرف علماء الغرب (السيميولوجيا) تعريفات متنوعة، لكنها تصب في منبع واحد فهي: "العلم الذي يدرس العلامات" ، وهذا ما أشار إليه كل من " تزفيتان تودوروف، جوليان قريماس ، وكريستيان ميتز"، وآخرون.

حيث إن السيميولوجيا تتكون » من الأصل اليوناني "Sémeîon":الذي يعني علامة، و" Logos "الذي يعني خطاب« ،كما تعني أيضا ذلك » العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات لغوية كانت ، أو أيقونية ، أو حركية«.

ويبدو أن تعريف "جورج مونان" ، أوفى هذه التعريفات، إذ يحدد السيميولوجيا بأنها »العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات أو(الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس« أمّا العلماء العرب ، ومن بينهم "صلاح فضل" فقد عرفها بأنها » العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة، وكيفية هذه الدلالة« في حين ذهب " محمد السرغيني" بقوله: » السيميولوجيا هي ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها، لغويًا، أو سننيًا، أو مؤشريًا« ، ويبدو من خلال ما ذكر من تعاريف سابقة، أن أصحابها يتفقون على أن السيميولوجيا أو السيميوطيقا علم يهتم بالعلامة والأنظمة اللغوية،كما يشمل هذا العلم ميادين واسعة متباينة » كعلامات الحيوانات ، علامات الشم، الاتصال بواسطة اللمس ، الاتصال البصري ، أنماط الأصوات والتنغيم "intonation" ، والتشخيص الطبي حركات وأوضاع الجسد، الموسيقى، اللّغات الصورية ، اللغات المكتوبة ، الأبجديات المجهولة ، قواعد الأدب ، أنماط الأزياء«.

وفي» نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ارتبط ظهور علم العلامة بوجود عالمين يرجع الفضل إليهما في ظهوره ، بالرغم من عدم معرفة كل منهما بالآخر« حيث ينتهيان إلى علم واحد بمصطلحين شائعين هما "Sémiologie" من "Sémion" اليونانية حسب

اللغوي فرديناند دي سوسير، (1856– "F. De Saussure"ت1913م)، ولقد حصر سوسير هذا العلم في دراسة العلامات في دلالاتها الاجتماعية، أو "Sémiotics"حسب "شارل ساندرس بيرس(1838– "Ch. S. Pearce :ت 1919م) الذي جعل العلامة تدرس منطقيا.

وفي نهاية الأمر حدد غريماس الفارق بين المصطلحين في اللغة الفرنسية، بأنْ جعل "السيميوطيقا" تحيل إلى الفروع؛ أي إلى الجانب العملي والأبحاث المنجَزة حول العلامات اللفظية وغير اللفظية في حين استعمل "السيميولوجيا" للدلالة على الأصول؛ أي على الإطار النظري العام لعلم العلامات، وفرق آخرون بين المصطلحين على أساس أن "السيميولوجيا" تدرس العلامات غير اللسانية كقانون السير، في حين تدرس" السيميوطيقا" الأنظمة اللسانية كالنص الأدبي.

وينبغي الإشارة إلى أنّ السيميولوجيا السوسيرية تعنى بعموم العلامات في نطاق المجتمع ،وهي بذلك ظاهرة سوسيولوجية والعلامة اللغوية عند سوسير مركبة من طرفين متصلين يمثلان كيانا ثنائي المبنى ،الطرف الأول هو إشارة مكتوبة ومنطوقة أي الصورة الصوتية للمسمى، والطرف الثاني هو المدلول أو المفهوم الذي نعقله من الإشارة لها ويمكن تمثيل الفكرة كالتالي: أمّا سيميوطيقا بيرس فهي علم الإشارة الذي يضم جميع العلوم الإنسانية ،الطبيعية وتبحث عن التأويلات المتتالية في أغوار النص ،بل تتعداها إلى جميع العلامات الثانوية ومن هنا بدأ علم السيمياء علما مستقلا بذاته على يد بيرس الذي جعل للعلامة أبعادا ثلاثا هي الممثل أو الدليل والموضوع الذي يقابل المدلول ،في حين أن المؤول لا وجود له عند سوسير.

3– أقسام العلامة عند بيرس:

•العلامة البيرسية مقسمة إلى ثلاث مستويات:

/**1الأيقونة Icon:**وهي العلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها تتمثل في علاقة تشابه بين المصورة والمشار إليه، مثل الصور الفوتوغرافية،والخرائط.

/**2المؤشر Index:** وهو العلامة التي تدل على الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع حيث " تكون العلاقة بين المصورة والمشار إليه سببية منطقية " كدليل الدخان على وجود النار.

/**3الرمز :Symbole**وهو العلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل القانون ،وغالبا ما يعتمد على التداعي بين الأفكار العامة ،ما يسميه بيرس باسم العادات ،أو القوانين أين تكون العلاقة بين الدال والمدلول والمشار إليه محض علاقة عرفية غير معللة ،كدلالة البياض على السلام.

4- اتجاهات السيميائية:

للسيمياء ثلاث اتجاهات:

أ- سيمياء التواصل: وأهم روادها جورج مونان وبريتو،وبويسنس ،ومارتينيه) ،ويقوم هذا الاتجاه على أن وظيفة اللسان الأساسية التواصل.

ب- سيمياء الدلالة : يعدّ (رولان بارت) زعيم هذا الاتجاه حيث يرى أن البحث السيميائي هو دراسة الأنظمة الدالة وذلك من خلال التركيز على الثنائيات اللسانية : اللغة/ الكلام ، الدال/ المدلول ،التقرير/ الإيحاء ،المركب / النظام ...إلخ.

جـ- سيمياء الثقافة : يستفيد هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية ،أهم روادها (يوري لوتمان أمبرتوايكو، جوليا كريستيفا) ،يقوم هذا الاتجاه على اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية ،وأنساقا دلالية.

وهكذا استوت السيمياء،وأصبح المنهج السيميائي الذي يعتمد العلامات السيميائية أهم عدة منهجية لطارق النصوص الأدبية.

5- المنهج السيميائي وآلية الممارسة الإجرائية:

شهد الخطاب النقدي العربي القديم رجات ،وتحولات كبرى وعميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين ،فتحولت عملية القراءة من قراءة أفقية معيارية إلى قراءة عمودية متسائلة تحاول سبر أغوار النص.

ولا سبيل إلى هذا الفعل النقدي إلا بالتسلح بالمنهج السيميائي الذي» يرفض التصورات النقدية التقليدية التي تهتم بسيرة المؤلف« ويعتبر النص بنية قابلة للتأويل فينظر إليه من زاوية أنه » قطعة كتابية من إنتاج شخص أو أشخاص عند نقطة معينة من التاريخ الإنساني وفي صورة معينة من الخطاب،ويستمد معانيه من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء الذين يستعملون الشفرات النحوية ،والدلالية ،والثقافية المتاحة لهم«.

فمن هذه النقطة بالذات اكتسب المنهج السيميائي في خصوصية وأصبحت القراءة النقدية على ضوئه قراءة إنتاجية تحاول تقريب القراءة من الكتابة ،فيصبح القارئ كاتبا ،ومنتجا ثانيا للنص،لأن القراءة السيميولوجية تعتبر أن النص يحمل أسرارا كثيرة تستفز القارئ لفك رموزه انطلاقا من فهم العلاقة الجدلية الموجودة بين الدال ،والمدلول ، وبين الحاضر والغائب، فتبدأ عملية البحث عن المعنى الغائب انطلاقا من دراسة الرموز التي تجعل الدلالة تنحرف باللغة الاصطلاحية إلى لغة ضمنية عميقة.

فالمنهج السيميائي في قراءة النص الأدبي » ينبثق من النص نفسه ويتموقع فيه بوصفه شكلا من أشكال التواصل يربط علاقة تفاعل بين النص والقارئ لأن القارئ ينشط على مستوى استنطاق الدال في النص مما يجعله يتفاعل مؤثرا في النص أو متأثرا به « ، والقراءة مصطلح

متبدّل هو الآخر، فقد كان يعني شيئاً محدّداً في القديم، ولكنه صار في عصر مابعد البنيوية، في عصر السيميولوجيا والتفكيكية ونظرية التلقي، في عصر القراءة، صار يعني إقامة علاقة نقدية مؤسسة بين القارئ والمقروء.

وعليه غدت المقروئية تأويلية تفسيرية إلى حدّ ما، وأصبحت القراءة بديلاً من النقد، فلكي تتمّ عملية القراءة الواعية لابدّ من حضور طرفيها (النص– القارئ) حضوراً حواريّاً تفاعليّاً، ولا يتمّ هذا الحضور إلاّ إذا كان الطرف الأول (النّص) ثريّاً، وكان الطرف الثاني (القارئ) في مستوى القراءة والتأويل، يحترم في المبدع قدرته على الحوار والتواصل الفكري، كما يحترم في الوقت ذاته استقلالية عمله الأدبي وبهذا تكون الأحكام النقدية التي يضعها في مضمار النص موضوعية ،وفق رؤية واعية متمكنة من خوض آليات النقد دون تردد أو مبالغة نقدية،وهذا كلّه ضمن المنهج النقدي المراد تطبيقه في عملية التحليل.

أمّا عن آلية التحليل السيميائي فتختلف حسبا للجنس الأدبي المراد تحليله لكن هناك نقاط ربط مشتركة بين جميع الأجناس والتي أشار إليها الناقد "على زغينه" في مقاله "مناهج التحليل السيميائي" إذ جعل استعمال المنهج السيميائي على مرحلتين هما كالآتي:

*المرحلة الأولى: هي مرحلة القراءة وهي قراءة تختلف عن قراءة النقاد العادية بانفتاحها الدائم ويرجع هذا الانفتاح إلى عدة أسباب أهمها أن النص يعني شيئا على مستويات عديدة في المكان وفي لحظات عديدة في الزمان لذا تختلف كل قراءة عن أخرى.

*المرحلة الثانية: هي مرحلة الانتقال من المادية إلى مرحلة المعنى وعلى هذا يمكن القول إن معنى الكلمات التي نجدها في المعاجم ليس دائما نفس معنى الكلمات الذي نجده في التواصل العقلي ، وعلم العلامات لا يهتم إلا بالمعنى الأخير»وهذا يعني أنه يمكن أن يكون لـ: الدال الواحد مدلولات متعددة وأن كل قراءة جديدة يمكن أن تكون تفسيرا مختلفا« .

فالأصل في التحليل السيميولوجي هو تحليل المقاطع والوحدات، و يتميز هذا التحليل» باعتماده على محور التوزيع فعندما تجمع قطع التحليل المبعثرة يمكن إعادة بنائها (...) هكذا تتراكب القراءة المقطعية(...) وتوجد داخل المقطع الواحد مقاطع صغرى،هي عبارة عن مجموعات غير متحركة ،ولنقوم بتحليل أساسه المقاطع يجب أن نبدأ بقراءة النص كلمة ثم نعيد بناءه (...) ونلاحظ عند التحليل أن بعض الأبنية تبرر أكثر من غيرها ،لذا يمكن ترتيبها وفقا لمجموعة من التيمات على محور التوزيع(...)، لكن يجب أن يكون تحليل المقاطع تحليلا مفتوحا بمعنى ألا يكون منحازا وألا يصدر أحكاما«.

كما أنّ هناك من يلجأ إلى آلية "التحليل اللساني" في عملية تحليل النصوص ونقدها، من خلال تحليل الخطاب الأدبي الشعري أوالسردي إلى مستويات أو بنيات هي كالآتي:

الصوتية،النحوية، الصرفية،التركيبية،الدلالية، هذا ما نجده عند الناقدين"محمد الصغير بناني

ورابح بوحوش"

إضافة إلى الناقد "بشير توريريت" الذي ينطلق في استنطاقه النص الأدبي من خلال عدة آليات إجرائية " فنية جمالية" مرتبة كالآتي: سيمياء العنوان، سلم الاختيار والتأليف، سيمياء التضاد،سيمياء التركيب،سيمياء الإيقاع .

وعموما هذه ما هي إلا آليات اجتهادية،ورؤية نقدية حداثية في تحليل النصوص الأدبية وفق المناهج النقدية النصانية، والمنهج السيميائي على وجه الخصوص وذلك من خلال الآليات العديدة التي تسهم في تفكيك النص وبالتالي تأويله شريطة أن يتمتع المؤول بقدرة منهجية ومعرفية واصطلاحية معتبرة تغنيه في عملية التأويل الموضوعي.